



جدلية الزمن والذات في "بكائية المقالح": مقارنة سيميائية في تحليل الخطاب

The Dialectic of Time and Self in "Beka'iyat al-Maqaleh" A Semiotic Approach to Discourse Analysis

د. عدنان يوسف أحمد الشعبي

قسم اللغة العربية- كلية اللغات- جامعة صنعاء (الجمهورية اليمنية)

aadnanshaebi@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/07/15

تاريخ القبول: 2026/07/10

تاريخ الإيداع: 2026/06/08

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الأبعاد السيميائية لجدلية الزمن والذات في قصيدة بكائية 2016 للشاعر عبد العزيز المقالح، بوصفها نصاً يمثل لحظة حداد شعري تشتبك فيه العلامات وتتقاطع داخله المستويات الثقافية والتاريخية والنفسية، ضمن تجربة شعرية تمثل لحظة وعي حاد بالذات في مواجهتها للزمن. وتعتمد الدراسة مقارنة سيميائية لتحليل الخطاب، تنطلق من تفكيك البنية الدلالية للنص عبر تتبع العلاقات الداخلية بين العلامات، ورصد آليات إنتاج المعنى في ضوء تناظراته الزمنية والذاتية. كما تعمل على استقصاء اشتغال أنساق الفضاء، والرمز، والتناص، بوصفها مكونات فاعلة في توليد الأثرين الجمالي والدلالي، والكشف عن دينامية التوتر بين التجربة الفردية وأفقها الإنساني الأوسع مستنيرة بمفاهيم سيميائيات الفضاء والزمن، وسيميائيات التناص، بما يسمح بإضاءة عوالم الانفعال في القصيدة، وتحليل تمثيلات الذاكرة، والغياب، والتحول. ينقسم البحث إلى مجموعة من المحاور النظرية والتطبيقية المتكاملة، تبدأ بتقديم ملامح الشاعر وسياقات النص، وتنتقل إلى تحليل مقاطع القصيدة في ضوء أنساقها السيميائية، ثم تعالج سيميائيات الفضاء والزمان، وسيميائيات التناص، وصولاً إلى بيان أثر تلك العناصر في تشكيل بنية النص وإنتاج دلالاته ضمن أفق تأويلي منفتح.

الكلمات المفتاحية: السيميائية، الخطاب، الذات، الزمن، الهوية، الجسد.

Abstract:

This study seeks to uncover the semiotic dimensions of the dialectic of time and the self in a poem written in 2016 by the poet Abdulaziz Al-Maqaleh, considering it a poetic moment that crystallizes the interplay of signs and the intersections of cultural, historical, and psychological levels within it. The poem is approached as an intense existential experience representing a sharp moment of the self's awareness in its confrontation with time. The study adopts a semiotic approach to discourse analysis, proceeding from deconstructing the textual structure in order to trace the internal relations among signs and to monitor the mechanisms of meaning production in light of temporal and contextual correlations. It also examines the functioning of spatial, temporal, symbolic, and intertextual patterns as effective components in generating aesthetic and semantic otherness, and in revealing the dynamics of tension within the human experience that the text embodies. Through the semiotics of space, time, and intertextuality, the study illuminates the worlds of emotion in the poem and analyzes the formations of memory, absence, and transformation. The research is divided into a set of integrated theoretical and applied sections. It begins by presenting the poet's features and the contexts of the text, then moves to analyzing selected passages of the poem according to their semiotic dimensions. It concludes by demonstrating how these elements interact in shaping the structure of the text and producing its meanings within an open interpretive horizon

Keywords: Semiotics, discourse, self, time, identity, body.



المقدمة

لم يكن الشعر منذ القديم مجرد أداة تعبير جمالي، بل شكّل أفقاً إنسانياً رحباً تجلّت فيه خبرة الإنسان بالعالم، وتكتّفت عبره تجاربه الشعورية والوجودية. فهو اللغة التي تبلغ أقصى طاقتها التعبيرية، حين تتجاوز وظيفتها الإبلاغية إلى وظيفة الكشف؛ كشف الذات في تماسّها مع العالم، وكشف العالم في انعكاسه داخل الوعي.

ومن هذا المنطلق، يغدو الشعر سجلاً حيّاً للتجربة الإنسانية، تتقاطع فيه الذاكرة بالهوية، والوجدان بالتاريخ، والذات بجماعتها الثقافية. وكلما ازداد النص الشعري صدقاً في تمثيل معاناة الشاعر ورؤيته، ازداد قدرته على ملامسة القارئ بوصفه شريكاً في التجربة، لا متلقياً لها فحسب. وتنبع أهمية هذه الدراسة من سعيها إلى مقارنة تجربة أحد الأصوات الشعرية اليمنية البارزة، عبر الوقوف عند نصٍّ مثل لحظة كثيفة من لحظات البوح والألم، نصٍّ كتب بحرارة المعاناة لا ببرودة الصناعة، فغداً شاهداً على انكسارات الذات وأسئلتها الوجودية. وتحاول الدراسة قراءة هذا النص قراءة تحليلية تكشف بنيته الدلالية والجمالية، وتستنطق مكوّناته التعبيرية، مستنيرة بأدوات منهجية تسعى إلى فهم التجربة كما تشكّلت في الوعي الشعري، لا كما يُراد لها أن تُفهم خارجه. وعليه، فإن هذا البحث لا يهدف إلى الوقوف عند ظاهر القول الشعري، بل يتجاوز ذلك إلى استكناه الرؤية الكامنة فيه، واستجلاء العلاقة بين التجربة الذاتية وأبعادها الإنسانية الأوسع.

تستعرض هذه الدراسة الملامح الأساسية لتجربة الشاعر عبد العزيز المقالح، مع التركيز على سياقات نص بكائية 2016 من حيث أبعاده التاريخية والثقافية والخطابية، مما يساهم في وضع إطار أولي لفهم التحليل السيميائي الذي ستعمق فيه الدراسة لاحقاً. وينتقل البحث إلى دراسة المسار السيميائي للنص، مستكشفاً كيفية تجلّي سيميائيات الالتماس في التعبير عن مشاعر الشاعر.

كما تتناول الدراسة العلاقة بين الذاكرة والواقع من خلال سيميائيات الفضاء والزمن، سعياً إلى فهم تأثير الأبعاد الزمنية والمكانية في تجربة الشاعر وتصويراته. ويركز هذا الجانب على المسار التوليدي للمعنى، محللاً كيفية بنائه في نصوص البكائية، والانتقال من الرموز إلى التجربة الشخصية، بما يتيح فهماً أعمق للرسائل المضمرّة. وتستكشف الدراسة المشاعر والانفعالات التي يتضمّنها النص، مسلّطة الضوء على كيفية تفاعل القارئ معها ومدى تأثيرها في البنية الدلالية للنص. ويركز هذا القسم على تحليل الجماليات الرمزية في النص، من خلال دراسة لغة الصورة والإيحاء، للكشف عن دورها في إثراء المعنى وإيصال الرسائل بشكل أكثر عمقاً، مستعرضاً آليات التفاعل النصي، ومدى تأثيرها في تشكيل فهم القارئ لنص البكائية. وتختتم الدراسة باستعراض أبرز الاستنتاجات، مع تقديم رؤية شاملة حول إشكالية البكائية وأهميتها في الأدب، إلى جانب إبراز التكامل الدلالي بين المستويات التحليلية المختلفة التي تناولتها الدراسة.



مشكلة الدراسة وأسئلتها

تسعى الدراسة، من خلال الأبعاد الخطابية والسيمائية ومستويات التحليل المنهجية، إلى الإجابة عن السؤال: كيف تتشكل جدلية الزمن والذات في قصيدة بكائية 2016 لعبد العزيز المقالح؟ ولما كانت بكائية المقالح تتأسس على جدل متوتر بين الذات وزمنها فإن الآخر لا يرد فيها بوصفه حضوراً عرضياً، بل يتشكل كعلامة دلالية داخل البنية الخطابية، تتقاطع عندها تمثيلات الزمن، وتنكشف عبرها تحولات الذات في اشتباكها مع الفقد والذاكرة والهوية. ولأن السيميائية تحتل موقعاً متقدماً في كشف أستاذ المعنى، فهي جديرة بأن تكون محور التحليل في هذه الدراسة. وإلى جانبها، سيتم الأخذ بعين الاعتبار مقاربات تحليل الخطاب عند رواده المعاصرين، بما يحقق تكاملاً مع مستويات السيميائية المنهجية.

منهجية الدراسة وإجراءاتها:

ستتبنى الدراسة المنهج السيميائي مدخلاً أساسياً للتحليل، مستندةً إلى ما قدمه شيخ سيميائية باريس الجيرداس جوليان غريماس، ومستلهمةً من مداخل السيميائية الحديثة عند رواد مدرسة باريس، مثل جوزيف كورتيس، جينيناسكا، إريك لاندوفسكي، وكلود زيلبيريرغ وغيرهم. إن نصاً كنص البكائية، وشاعراً كالمقالح، هو أجدر بأن يكون موضوعاً لرحلة تحليلية تتشكل فيها الديموغ إبداعاً في مصاف الأدب. يبدو النص، للوهلة الأولى، ذاتاً مفقودة مشتتة، وجسداً متألماً، لكنه في جوهره خطاب التأرجح الوجودي، خطاب الوحدة والحنين والزمن البائس. ومن هذا المنطلق، ستسعى الدراسة إلى كشف هذه التمظهرات عبر مستويات تحليلية متعددة.

التعريفات الاصطلاحية والإجرائية

اشتملت الدراسة على المصطلحات الاصطلاحية والإجرائية الآتية:

السيمائية (Semiotics): علم الدلالات والرموز، الذي يركز على دراسة العلامات والإشارات ودورها في إنتاج المعنى. كما عرفها جوزيف كورتيس بأنها «علم الرموز والدلالات وكيفية إنتاج المعنى من خلالها»¹. وتُعرف إجرائياً في هذه الدراسة بوصفها المنهج الأساسي المتبع في التحليل والتفسير.

الخطاب (Discourse): البنية اللغوية والتداولية التي تشكل تمثيلات الواقع وتعكس العلاقات الاجتماعية والسياسية. وفي هذه الدراسة، يُستخدم مفهوم الخطاب لتحليل الأبعاد الخطابية والسيمائية، كما عرفه إريك لاندوفسكي بأنه «إنتاج اللغة في سياقات اجتماعية محددة»².

الذات (Self): الكيان الشعوري والوجودي للمتكلم، الذي يتشكل داخل سياقات اجتماعية وثقافية معينة. وفقاً لما ذكره كلود زيلبيريرغ من أن الذات هي «بنية سيميائية متغيرة في عملية دائمة من إعادة التشكيل»³.

الزمن (Time): البعد الزمني الذي يتحرك فيه النص، والذي عرفه غريماس بأنه «بعد أساسي في إنتاج المعنى وتشكيل البنى السردية»⁴.

كورتيس، جوزيف. تحليل سيميائي للخطاب: من التصريح إلى التعيين. باريس: هاشيت، 1991، ص. 7.

لاندوفسكي، إريك. المجتمع العاكس: مقالات في السوسولوجيا السيميائية. باريس: سويل، 1989، ص. 12.

زيلبيريرغ، كلود. عناصر من القواعد التنسيقية. ليموج: مطبعة جامعة ليموج، 2006، ص. 48.



الهوية (Identity): تمثيلات الشخصية والانتماء الاجتماعي والثقافي للذات المتكلمة، وفقاً لما أشار إليه جينينسكا من أن الهوية هي «تشكل مستمر للذات في التفاعل مع الآخر»⁵.

الجسد (Body): الكيان المادي للإنسان وما يرتبط به من دلالات رمزية وانفعالية، كما أشار إليه زيلبيريرغ بأنه «مجال للتمثيل السيميائي للذات»⁶.

1 مدخل إلى البكائية: ملامح الشاعر وسياقات النص

يبرز في هذا العمل صوت الشاعر الكبير الدكتور عبد العزيز المقالح، عملاق الشعر اليمني الذي تصدر المشهد لنصف قرن، فقد أثرى الساحة الأكاديمية بحثاً ودراسةً وتأليفاً، ويظهر هنا متأماً بعمق، وهو الطابع الذي صبغ قصائده الأخيرة، إذ طغت عليها النبرة الشاكية، والصراع مع الهوية، والانغماس في العزلة في ظل غياب الأحبة وضراوة الحرب، حيث برزت تجربة المقالح الغنية بالرمزية والتناصات في هذا النص كلوحة حزينة للوداع والفناء، إذ تشكل النص عبر تحولات الزمن، مما يعكس واقع الاضطراب والشكوى.

فالشاعر الدكتور المقالح، الذي كان صوتاً للقصيدة اليمنية وروح صنعاء، ويُعدّ من أعمدة الأدب العربي، يبدو في حالة حيرة بين الذاكرة والنسيان. فالقصيدة التي كتبها المقالح عام 2016، بعنوان "بكائية لعام 2016"، والمنشورة في مجلة الديوان، تحمل طابعاً رمزياً وحداثياً، وهي مكتوبة بالشكل الحر، كما هو الغالب في كثير من قصائده الأخيرة، مما يعكس نهوض تجربته الشعرية في ذروتها، حين بلغ الألم منتهاه. ويتموضع النص ضمن سياق الاضطراب الوجودي والهوياتي الذي يعاني منه المتحدث الشعري، حيث تتصارع الذات المنشطية مع الزمن المنفلت، مما يخلق حالة من الضياع والتشردم الوجودي.

ويلاحظ في النص أن الشاعر يُظهر استسلاماً للفناء والموت، ورغبةً في الرحيل عن هذا الواقع الذي تموت فيه العصافير وتسمن فيه الذئاب، حيث يصبح الموت راحةً أبدية. كما يظهر تناصٌ بارز من خلال لفظة "دثريني"، إضافةً إلى الإشارات إلى طوفان نوح وعصا موسى وتناصات أخرى، فالنص يحمل تركيزاً على ثنائية الموت والتبرّم من الواقع، إلى جانب رسائل سياسية وخطابية متعددة. وتستكشف هذه القصيدة العميقة والمؤثرة حالة الاضطراب الوجودي والهوياتي التي أصابت روح الشاعر في مواجهة الواقع العاصف الذي يعاني منه وطنه، ومن خلال نسيج غني من الدوال السيميائية، يتغلغل النص في الجدل المعقّد بين الزمن والذات، حيث يصارع المتحدث إحساساً عميقاً بالخسارة والإحباط، وشوقاً ملجأً إلى الراحة الأبدية. وفي ضوء التحليل السيميائي الذي ستتناوله الدراسة، سيتم استكشاف الأبعاد الخطابية والموضوعية للنص عبر بُناه المتعددة، من خلال رصد تمثيلات الجسد واللغة والتوتر والعاطفة.

غريماس، ألغيرداس جوليان. *الدلالات الهيكلية: محاولة في المنهج*. لنكولن: مطبعة جامعة نبراسكا، 1983، ص. 9.

غريماس، ألغيرداس جوليان وكورتيس، جوزيف. *السيميائية: معجم مؤسسي لنظرية اللغة*. باريس: هاشيت، 1979، ص. 174.

زيلبيريرغ، كلود. *عناصر من القواعد التنسيقية*. ليموج: مطبعة جامعة ليموج، 2006، ص. 62.



2 النص

دثريني

وشدي على كفي

ودعي فتحة فيه

أرقب منها

رفيف الفراشات

أسمع صوت المياه التي تتحدر

في ضحوة من أعالي الجبال

وأشعر في لحظة

أن شيئاً جميلاً

سأفقدّه حين أطوي

بساط الحياة.

* * *

دثريني

فإني سئمت الوقوف

بمنعطف لم يعد آمناً

والصعود إلى جبل

لم يعد عاصماً

وسئمت الرفاق الذين

بأوهامهم خذلوني

وباعوا خطاب المودة

للريح

في زمن العاصفة.

* * *

دثريني

وشدي على كفي

واكتبي فوق قبري:

هنا واحد من ضحايا الحروب

التي عافها



ثم قال لقادتها قبل أن يبدأوها:

الحروبُ إذا دخلت قريةً

أكلت أهلها الطيبين

ولم تُبقِ من حجرٍ واقفٍ

أو شجرٍ.

دثريني

ضعي، يا ملاكي،

عصاي التي كنت أحملها

مثل تعويذةٍ

وأصدُّ بها عثمتي

وأهشَّ بها ليل خوفي

وأمشي بها إن فقدت الدليل

ضعيها على كفني

واعلمي أن روحي مخربةٌ

بعد أن حاولت

آه وآسفي

تقهّر المستحيل.

دثريني

اغلقي شاشة التلفزيون

هذا الإناء الوخيم

الذي أفسد الناس

يَبصق في صحن أذهانهم

بكلامٍ مريضٍ

يُميت الشعور

يدجّنه

ثم يُسلمه لمنامٍ طويلٍ

طويل.



* * *

دثريني
وقولي لأهلي
وأصحابي الطيبين
لقد كان مثل بقية أهل
البلاد
ومثل بقية كل العباد
يحب الجمال
ويأسره صوت شَبَابَةٍ
يُتَصَبَّاهُ
يهوى أغاني الرعاة.

* * *

دثريني
وقولي لأعدائي البسلا
إنه لم يعد يتذكرهم
يتذكر أسماءهم
يتذكر ليل عداوتهم
وسواد افتراءاتهم
وهو من هول ما يحدث الآن
ما يفعل الأهل بالأهل
في حيرةٍ مُرَّةٍ
وذهولٍ عظيمٍ.

* * *

دثريني
ولا تفتحي يا ملاكي
الشبابيك
إن الظلام الذي يتجولُ
منفردًا فوق برد الشوارع
يرقب غرفتنا



ويحاول أن يتسلل في غفلة منك
إياك أن تغفلي
ما بروحي من ظلمة
ليس يقوى عليها الظلام.
* * *

دثريني
فقد أصبح الموت
أمنية
بعد أن جاعت الأرض
وافتقدت خبز أبنائها
وطوى الصمت بؤس الكلام
الذي ظل يحرث في البحر
أوهامه
ويعثر أحلام أمته
في الهواء.
* * *

دثريني
فإني أرى القبر
أوسع من هذه الأرض
أوسع من بحرها
وأرى فيه شمساً
أحنّ وأراف من هذه الشمس
أشهد فيه نجومًا ملونةً
وملائكة في الفضاء المديد
تصلي
وتغسل بعض ذنوب البشر.
* * *

دثريني
فإن أبي ... اخوتي



في انتظاري
وأصحابي الأوفياء،
وأمي التي حين غابت
وغاب سناها
تمنيت لو أنهم حملوني
على نعشها
وانتهت عندها قصتي
في الحياة.
* * *

دثريني
دعيني أعانق في شغفٍ صحوة الأبدية
أرحل عن وطنٍ بائس الأمس واليوم
فيه تموت العصافير جوعاً وتسمن فيه الذئاب
وما كتبت يدي ليس إلاّ صدى شجنٍ حارقٍ
وبكاءٍ من الكلمات
على بلدٍ كنت أحسبه بلداً
وعلى أمةٍ كنت أحسبها أمةً
ظُلِّها كان يمتد من ماءٍ تطوان
حتى سماء الخليج⁷.
عبد العزيز المقالح

3 المسار السيميائي للنص: قراءة في لغة الجسد والروح

تتأسس سيميائيات النص في "بكائية المقالح" على لازمة مركزية متكررة: "دثريني"، التي تشكل بنية خطابية عميقة تجسد حواراً مأساوياً بين الذات المنهكة والعالم الخارجي. يتجاوز هذا الطلب المعنى الحرفي للتدثير والتغطية ليصبح رمزاً للبحث عن ملاذ روحي من واقع مفعم بالألم. يظهر الجسد ككيان متعب ("سئمت الوقوف"، "ضعي عصاي")، والروح "مُخَرَّبَةً" من صراعات الوجود. يكشف التفاعل بين الجسد والروح عن أزمة ذات عميقة تتوق للخلاص من قسوة الحياة، متمثلة في سياقات الحرب والخيانة وانهيار المجتمع. يمثل هذا الطلب المتكرر استسلاماً روحياً وجسدياً، يحول الموت من مجرد نهاية فيزيائية إلى فضاء دلالي للتحرر والانعقاد،

⁷ <https://www.aldiwan.net/poem101426.html> المقالح، عبد العزيز. بكائية لعام 2016م. الديوان. متاح على:



بحيث يصبح الكفن وعاءً يحمل آلام الروح ويختزن رغبة الشاعر في التهوين من وطأة الزمن والبحث عن الانتماء والراحة.

تأليف القطب الدلالي

يتناول المحور المركزي للشبكة الدلالية عدة ثنائيات ضدية رئيسية، منها الموت/الحياة، الخلاص/العذاب، النور/الظلام، والوطن/الغربة. هذه الثنائيات تعكس التوترات الأساسية في النص وتحدد الإطار المفهومي الذي يتحرك ضمنه الشاعر. بالإضافة إلى ذلك، تتجلى التظاهرات النصية الأساسية من خلال الحقول المعجمية. يتميز الحقل المعجمي للموت بوجود مصطلحات مثل الكفن، القبر، والأبدية، بينما يركز حقل المعاناة على مفردات الحرب، الجوع، والخيانة. من جهة أخرى، يعكس الحقل المعجمي للأمل مفاهيم النور، الجنة، والخلاص، مما يساهم في بناء المعنى العام للنص.

ويتضمن التشكيل الرمزي في هذا النص رموزاً مادية تعكس دلالات وجودية عميقة. فالكفن، على سبيل المثال، يمثل الحماية والتحرر من المعاناة، بينما العصا تشير إلى المقاومة والصمود. كما يُعد التلفزيون، أو "الإناء الوخيم"، رمزاً للفساد الثقافي والتضليل. وعلى صعيد الرموز المجردة، يتجلى الظلام دالاً متعددًا يشير إلى القمع، الخوف، والانحلال الأخلاقي. بينما الفراشات تمثل هشاشة الجمال وعبور اللحظات. وأخيراً، تُعبر الأبدية عن التطلع للخلاص والسلام، مما يضيف بعداً روحانياً للنص. وتتضمن البنية التناسية في النص تناصاً داخلياً يستدعي التراث الشعري العربي ويستخدم المرجعية الدينية لتغذية معاني النص. هذا التناص يعزز من عمق التجربة الشعرية ويجعلها أكثر تواصلًا مع القارئ. من جهة أخرى، يشمل التناص الخارجي استحضار الواقع السياسي المعاصر واستلهاهم التجربة الإنسانية العامة. هذا الربط بين الماضي والحاضر يثري النص ويجعله معبراً عن قضايا معاصرة تشغل الواقع العربي. في المجمل، يكشف هذا التأليف الدلالي عن شبكة دلالية متماسكة تدور حول ثيمات الموت والخلاص والمقاومة، مع توظيف رمزي عميق يربط بين التجربة الذاتية والجماعية.

التقطيع الكلي للنص: تحليل المقاطع الدلالية الرئيسية

يُقسم النص إلى أربعة مقاطع دلالية رئيسية، يمثل كل منها حقلاً دلالياً متميزاً يساهم في بناء المعنى الكلي للنص: المقطع الأول: التوق إلى السكون والانعقاد من الواقع، حيث يبدأ النص ببناء "دثريني" الذي يتكرر كعبارة استهلالية في معظم السطور، ويعبر عن رغبة عميقة في الاحتماء من الواقع والانسحاب منه. تتجلى في هذا الجزء مظاهر الحنين إلى الطمأنينة والسكينة، مقابل واقع يفتقد الأمان، إذ يعبر الشاعر عن الإنهاك النفسي والخذلان من المحيط والرفاق. المقطع الثاني: الحرب والخذلان وفقدان المعنى، حيث يتحول الخطاب إلى تسجيل آثار الدمار، وتظهر الحرب كقوة مدمرة تهلك البشر والحجر، ويبرز الشعور بالخسارة والانهيار الأخلاقي والاجتماعي. كما تُطرح انتقادات حادة للواقع السياسي والإعلامي، الذي يساهم في تكريس الغفلة وتزييف الوعي، في ظل صمتٍ مريب وتواطؤ جماعي. المقطع الثالث: الحنين، والانفصال، واستحضار الراحلين، حيث ينتقل الشاعر إلى خطاب أكثر حميمية مع الذات والماضي، مستعيداً علاقاته بالمقرّبين من الأهل والأصدقاء، متأرجحاً بين الحب



والخذلان، بين الذاكرة والنسيان. ويستدعي حضور الأم والأب وإخوته، في إشارة إلى رغبة داخلية في الانضمام إلى من سبقوه والبحث عن السلام في العالم الآخر. المقطع الرابع: الوداع والمراثية الأخيرة للوطن، حيث يبلغ الخطاب ذروته في إعلان الرحيل والوداع، وتصبح الكتابة نفسها فعلاً من أفعال الحزن، و"صدى شجن حارق" على وطن فقد معناه، وعلى أمة ضيّعت ظلّها. يتماهى الموت هنا مع الأبدية، ويغدو القبر أكثر رحابةً من الأرض، بما تحمله من ظلم وخراب.

يقوم التحليل السيميائي للنص بتفكيك كل مقطع أساسي إلى وحدات دلالية فرعية، حيث تمثل كل وحدة فكرة أو موضوعاً محدداً يسهم في إثراء المعنى الكلي للنص. تعكس الوحدة الأولى الرغبة في الانتماء والاحتواء حاجة إنسانية أساسية، لكنها في سياق النص تتحول إلى دلالة على الفقد والبحث عن بدائل. وفي الوحدة الثانية، التأمل في الأذى الناتج عن الحروب، تصبح الحرب علامة مركزية على الفساد والدمار، وتتحول إلى موضوع للتفكير النقدي. أما الوحدة الثالثة، التعبير عن الافتقار والشوق، فتمثل علامة على الحنين إلى الماضي والرغبة في استعادة ما تم فقده. وفي الوحدة الرابعة، الرغبة في الموت بوصفها وسيلة للهروب من الواقع، يصبح الموت علامة على الرفض للواقع، والسعي نحو ملاذ بديل. ويتضمن النص مجموعة من الرموز والإشارات التي تُسهم في تعميق المعنى. يمثل السلام والطبيعة رمزاً للهدوء والسكينة، بينما تمثل الحرب والخيانة رمزاً للشر والفساد. أما الإعلام فيُعتبر رمزاً للتلاعب والخداع، والوطن رمزاً للهوية والانتماء ولكنه أيضاً يرمز إلى الألم والمعاناة. وبالنسبة للموت مفهوم التحرر والراحة، لكنه يحمل دلالات الفناء والعدم. تتضافر هذه الرموز لتشكيل رؤية معقدة للعالم، تعكس الصراعات الداخلية والخارجية التي يعيشها الأفراد والمجتمعات.

أما الأنساق السيميائية الرئيسة فتتجلى في نسق المعاناة عبر مجموعة من العلامات والرموز التي تعبر عن الألم والمعاناة، ونسق الرفض الذي يظهر من خلال مجموعة من العلامات والرموز التي تشير إلى رفض الواقع الميرير والتمرد عليه، ونسق الحنين الذي يبرز في مجموعة من العلامات والرموز التي تعكس التطلع للأمل والخلص. وفي تحليل الأنساق السيميائية داخل المقاطع، يركز المقطع الأول على نسق المعاناة وبعض العلامات التي تعكس نسق الحنين، ويهيمن على المقطع الثاني نسق الرفض، مع استحضار بعض العلامات التي تدل على المعاناة، ويركّز المقطع الثالث على نسق المعاناة، مع بعض العلامات التي تعبر عن الرفض، ويمثل المقطع الرابع تحولاً من نسق المعاناة إلى نسق الحنين. بشكل عام، يكشف التحليل السيميائي للنص عن شبكة دلالية متماسكة تتحرك بين الألم والأمل، والرفض والاستسلام، مما يعكس صراع الذات مع الواقع المأساوي.

تحليل الوظائف السيميائية للعناصر الشعرية

يتشكل المستوى السيميائي للصور والرموز من خلال وظائف تعبيرية عميقة، حيث تتجلى الرموز المركزية (الكفن، الخبز، الظلام) في دلالات متعددة الأبعاد. فالكفن يرمز للخلص والتحرر، والخبز يمثل استعارة للاحتياجات الأساسية والفقدان، بينما يجسد الظلام حالات القهر والإحباط. وتعمل آليات التشكيل الرمزي عبر الاستعارات والتكثيف الدلالي على تحويل التجربة الفردية إلى تجربة جماعية ذات أبعاد وجودية. وتتعدد



مستويات التناص في النص لتشمل أبعاداً دينية وتاريخية وثقافية متشابكة. فالتناص الديني يستحضر رموز التطهير والخلاص، بينما يعمل التناص التاريخي على ربط التجربة الفردية بالسياق العام. ويؤدي التناص الثقافي دوراً محورياً في توظيف الرموز التراثية وإنتاج دلالات متجددة تكشف البعد الاجتماعي للتجربة الشعرية وتمنحها عمقاً تاريخياً.

وتتشكل الوظائف السيميائية من خلال ثلاثة مستويات أساسية. فالوظيفة التعبيرية تركز على المعاناة الداخلية وتجسيد حالات الألم والإحباط، بينما تعمل الوظيفة النقدية على فضح آليات القمع والتهميش وكشف زيف الخطابات السائدة. أما الوظيفة الرمزية فتتجلى في تصوير حالة الانهيار والتفكك الاجتماعي وخلق فضاء للمقاومة الرمزية. وتعتمد المحددات المنهجية على آليات تشكيل متطورة، حيث يعمل التكرار على تأكيد المعنى وإبراز العمق النفسي، ويسهم التكثيف في ضغط التجربة داخل رموز مكثفة. كما يتم تحويل التجربة الحسية إلى تجربة روحية من خلال التجريد. وتتأسس استراتيجيات التأويل على القراءة متعددة المستويات وفك شفرات النص وإنتاج دلالات متجددة. وبهذا يشكل النص منظومة سيميائية معقدة تتجاوز الوصف المباشر إلى إنتاج دلالات متعددة ومتشابكة، حيث تتحول الصور والرموز إلى أدوات للكشف عن الواقع وتفكيك خطاباته المهيمنة. فالنص ليس مجرد نسيج لغوي، بل فضاء معرفي يحمل طاقات تأويلية لا متناهية.

النسق السيميائي الحاكم: تحليل بنيوي للثنائيات الدلالية وديناميكية التحولات

تُشكل ثنائية الحياة/الموت والفناء/البقاء محوراً دلاليًا مركزيًا في النص، إذ تنسج إطاراً تأويلياً لصراع الوجود الإنساني بين الزوال والاستمرارية. هذا النسق الثنائي يُمثل مفتاحاً سيميائياً لفهم التوتر بين الواقع المادي والخيال الرمزي، ويجد امتداده في نسقٍ آخر يحكم الصراع بين الذات والمجتمع، أو الفرد والسلطة، حيث تنبثق شفرة فرعية تعكس تناقضاً جلياً بين الذات المتمردة والسلطة المهيمنة. هذا التوتر يُعبّر عنه من خلال تداخل أنساق الخطاب الفردي والجمعي، ويتجلى في نقد اجتماعيٍّ موجّه إلى قادة الحروب الذين يُشار إليهم في النص بوضوح قبل أن تبدأ المواجهة. في السياق نفسه، تتفاعل الثنائيات المتضادة من أملٍ ويأس، ونورٍ وظلام، وحربٍ وسلم، لتولّد حقلاً سيميائياً معقداً يكشف تصدّع الذات الشاعرة وانزياحها عن واقع اجتماعي مفكك. كما تحضر الرموز التراكمية لتضفي على النص كثافة دلالية، إذ يتحوّل الموت إلى بوابة ميتافيزيقية تتيح للذات ولادة جديدة في عالم أكثر اتساعاً، بينما يتجسّد رمز الحرب كمرآة لمعاناة وطنٍ ممزّق، يعبر عن الصراع الدائم بين الإرادة الفردية وآليات القمع الجماعي.

تنتقل الذات من حالة اليأس الوجودي ("سَيِّمْتُ الْوُفُوفَ") إلى تقبّل الموت كـ"أمنية تحررية"، ثم إلى تصوّر مثالي للخلاص ("شَمْسٌ أَحْنُ"), مُشكّلةً مساراً سيميائياً من الانزياح نحو الفردوس المتعالي. أما تفاعل الأنساق الزمنية فيُعبّر عن حنين الذات إلى زمنٍ مفقودٍ من الانتماء والاستقرار. وتبرز قطيعة الحاضر الانزياح عن الواقع المُتشظّي عبر رفض التناغم مع الخطاب السلطوي. ويُعدّ الانزياح نحو الميتافيزيقا استراتيجية سيميائية لتفكيك



قيود الواقع وبناء عالمٍ بديلٍ مُتخيّل. وتُبرز الديناميكية التحولية تناقضًا بين الرغبة في الانتماء ورفض الواقع المُتحوّل، مما يُنتج خطابًا نقديًا يُعري التحوّلات السلبية في بنية المجتمع. يُظهر النصُّ تفاعلًا مُعقدًا بين الأنساق السيميائية والرمزية، حيث تُنتج الثنائيات المتضادة كثافةً دلاليةً تعكس تعالق الصراع الداخلي (الذات/الوجود) مع الصراع الخارجي (الفرد/السلطة). كما تكشف ديناميكية التحوّلات عن سعي الذات إلى إعادة تشكيل الهوية عبر الانزياح من المادي إلى الميتافيزيقي، كاستجابةٍ لأزمة الوجود في واقعٍ مُتصارع. بذلك، يمثل النص صرخة احتجاج على واقعٍ مأساوي، يعكس حالة من اليأس المركب بالأمل، حيث يستخدم الشاعر لغة رمزية مكثفة للتعبير عن معاناته، مما يجعل القصيدة مرثية معاصرة تجسد حالة الإحباط والألم. يمثل الشاعر صوت جيل مهزوم يواجه انهيار المشروع الوطني والقومي، مما يفتح الباب لتحليل أعمق للطبقات السيميائية في القصيدة، بما في ذلك الخيارات اللغوية المحددة، واستخدام الإيقاع والقافية، والسياق الثقافي الذي كُتبت فيه. تكشف السيميائيات في النص عن أزمة الذات العربية التي تواجه حروبًا خارجية وداخلية، عبر خطاب يجمع بين الرثاء والنقد. من خلال "دثريني" كبنية دائرية، يحقق المقال حوارًا بين الجسد والروح، وبين الفرد والوطن، في محاولة لفهم الوجود وسط الخراب. في "بكائية المقالح"، يتم توظيف السيميائية لإبراز الجوانب النفسية والاجتماعية المتنازعة، حيث تعكس البنية السردية للقصيدة القلق الوجودي والفقد، مما يمهد لفهم أعمق للزمان والذات في محيط معقد من الألم والحنين.

4 سيميائيات الفضاء والزمن: بين الذاكرة والواقع

تُجسّد قصيدة "بكائية لعام 2016م" لعبد العزيز المقالح جدليةً معقدةً بين الزمن والذات، حيث يتفاعل البعد الزمني مع الأبعاد النفسية والعاطفية للذات الشاعرة. يتجلّى هذا التفاعل من خلال تشظيات الزمن وتداخلاته بين الماضي والحاضر والمستقبل، مكوّنًا متاهةً زمنية تعكس حالة الذات المتألمة والمحاصرة بين ذكريات الماضي وآلام الحاضر وتطلعات المستقبل.

المتاهة الزمنية: تجليات الماضي والحاضر والمستقبل

يتبدّى الزمن في قصيدة "بكائية لعام 2016م" فضاءً متمردًا ومتعدّد الأبعاد، يشكّل متاهةً زمنيةً تنتقل الذات الشاعرة خلالها بين الماضي والحاضر والمستقبل، في مسارٍ يعكس أزمة وجودية عميقة. الماضي يُستحضر من خلال صور الحرب والخذلان، حيث العلاقات الإنسانية تحولت إلى أوهام وخيبات، كما في قوله:

وسئمتُ الرفاقَ الذينَ

بأوهامهم خذلوني

يحمل هذا دلالة واضحة على الارتداد إلى ماضٍ مثقل بالخسارات والانكسارات، حيث تتحول الذاكرة إلى مرآة للخذلان. أما الحاضر، فيتجلّى فضاءً خانقًا يهيمن عليه الشعور بالاستسلام، ويُعبّر عنه بتكرار استعاري مكثّف يحمل نغمة الحزن والانكفاء:

دثريني... وشُدّي على كفني



فقد أصبح الموتُ أمنيّتي

في هذا السياق، يصبح الموت مرادفًا للخلاص، وتتحول الذات من فاعلٍ في الواقع إلى كائن يتشوّق إلى الانسحاب منه. أما المستقبل، فيُقدّم في صورة قاتمة يغمرها التشاؤم، حيث يكتسب القبر بُعدًا وجوديًا أرحب من الحياة ذاتها، كما في قوله:

دثّرني

فإني أرى القبر

أوسع من هذه الأرض

أوسع من بحرها

وأرى فيه شمسًا

أحنّ وأرأف من هذه الشمس

أشهد فيه نجومًا ملونةً

وملائكة في الفضاء المديد

تصلي

يوحى هذا التصوير بشعورٍ وجوديٍّ خانيّ، يُفضّل فيه الشاعر العدم على الامتداد في واقعٍ لا يُطاق. هذا التوتر الزمني يتقاطع مع سيميائيات الفضاء التي تتوزع بين المادي والرمزي والروحي. الفضاء المادي يشمل أماكن واقعية مثل اليمن والقرى المهجورة والشوارع الخالية، والتي تُجسّد الخراب والفقدان. أما الفضاءات الرمزية، مثل القبر والتلفزيون والظلام المتجول، فتتخذ بُعدًا إيحائيًا يوحى بالهروب أو المواجهة مع العدم، في حين تُمثّل الفضاءات الروحية، كعالم الأبدية والنجوم والملائكة، ملاذًا للتجاوز والخلّص. في هذا الإطار، تتجلى الذات الشاعرة صوتًا ممزقًا بين الإرهاق الوجودي والرفض المطلق للواقع، باحثةً عن مخرج، حتى وإن كان هذا المخرج هو الموت. كما تستدعي الذات المؤانسة الروحية من خلال مناجاة الملاك، في محاولة لتخفيف وطأة الوحدة والخذلان. ومن خلال هذا التفاعل السيميائي بين الأزمنة والفضاءات، يقدم المقال مشهدًا شعريًا مركّبًا يجسّد صراع الذات مع ذاكرتها وواقعها، ويترك للقارئ تأملًا عميقًا في جدلية الحياة والموت، والألم والخلّص.

يُشكّل التكرار في قصيدة "بكائية لعام 2016م" أداةً سيميائيةً تُوظّف لتعميق الإحساس بالزمن المتشظي والمجتزأ. يتجلى ذلك بوضوح في عبارة "دثّرني"، التي تتكرر كتضريحٍ يعبر عن الاستسلام وطلب الراحة والهروب من واقعٍ مؤلم. يعكس هذا التكرار رغبة الذات في التجمّد عند لحظةٍ محددة، بعيدًا عن تدفق الزمن القاسي. وتبدي ظاهرة الانقطاع الزمني في الانتقالات المفاجئة بين المشاهد الزمنية المختلفة، حيث يتحرك النص بين ذكريات الماضي ومحطات الحرب والخسارات، كصورةٍ تستدعي الحنين والألم، وواقع الحاضر وحالة اليأس والاستسلام، حيث يُعبّر التكرار عن رغبةٍ في التوقف الزمني ("دثّرني وشدي على كفي")، وتطلعات المستقبل التي



لا تحمل سوى الخلاص بالموت، كفضاءٍ أكثر رحمةً ("أرى القبر أوسع من هذه الأرض"). يعكس هذا الانتقال المتقطع بين الأزمنة حالة الذات التي تُعاني من فقدان التماسك الزمني، حيث لا تستطيع أن تتمركز في زمنٍ واحد، بل تبقى عالقةً في متاهةٍ زمنيةٍ تفتقد إلى الاستمرارية والانسجام.

يلعب التكرار في بنية القصيدة دوراً أساسياً في تشكيل الزمنية المتشظية، حيث يُبرز صيغة الاستسلام وطلب الراحة، كما في "دثريني"، التي تحمل معنى الرغبة في الاحتواء والاختباء من قسوة الواقع، والتعبير عن الندم والحسرة من خلال تكرار العبارات التي تحمل في طياتها الشعور بالخذلان والخسارة، والتأكيد على الألم المتجدد إذ يُعيد التكرار تكريس حالة الألم كونها حالةً مستمرةً لا نهاية لها. ويخلق تكرار "دثريني" إحساساً بالدوران الزمني، حيث يصبح النص أشبه بحلقةٍ مغلقةٍ يُكرر فيها المتحدث خطابه دون الوصول إلى نهايةٍ حقيقية. يمثل كل تكرار وقفةً سيميائيةً تُعطل التدفق الخطي للزمن، وتُبرز الانقطاع الزمني الذي يعكس بدوره الاضطراب العاطفي للذات الشاعرة. يتعزز هذا الانقطاع أيضاً من خلال بنية القصيدة، حيث تأتي السطور الشعرية متقطعةً ومنفصلةً، مما يُضفي على النص إيقاعاً مجزّلاً يُحاكي حالة الذات التي تُعاني من التفكك الزمني والوجودي. يتحوّل التكرار والانقطاع الزمني في قصيدة "بكائية لعام 2016م" إلى آلياتٍ سيميائيةٍ تُعبّر عن حالة الذات المتألّمة والمأسورة في متاهةٍ زمنيةٍ لا مخرج منها. يُجسد التكرار حالة الدوران حول الألم، بينما يعكس الانقطاع التشظي الزمني وتفكك الذات. بذلك، يُشكّل الزمن في القصيدة فضاءً سيميائياً معقداً يتفاعل فيه الماضي والحاضر والمستقبل في إطارٍ من التوتر والاضطراب، ليُعبّر عن رحلة الذات بين الاستسلام والأمل بالخلاص.

تحليل العلاقات التناسبية مع الزمن التاريخي:

يشكّل العنوان "بكائية لعام 2016" عتبة سيميائية تربط النص بواقع تاريخي محدد، إذ يُحيل مباشرةً إلى الصراع الدائر في اليمن خلال تلك الفترة. يحمل العنوان بُعداً زمنياً تراجيدياً، يُوطّر القصيدة في سياقٍ تاريخي مشحونٍ بالآلام والتحوّلات، ويعزز البنية الزمنية للنص من خلال إدخال بعد جمعي يتجاوز حدود التجربة الذاتية. وتتجلى العلاقات التناسبية مع الزمن التاريخي من خلال استدعاء مفردات الحرب والدمار:

هنا واحدٌ من ضحايا الحروب

التي عافها

تُقيم هذه العبارة علاقةً مباشرةً مع التاريخ العربي الحديث، حيث تُحيل إلى الحروب الأهلية والصراعات التي مرّقت المجتمعات، مما يُبرز تأثير الزمن التاريخي في تشكيل وعي الذات المتكلمة ومعاناتها. ويمتد هذا التناسب إلى إشارات جغرافية مثل "تطوان" و"الخليج"، إذ تحمل هذه المواقع دلالات سياسية وتاريخية تُرسّخ النص ضمن فضاء إقليمي أوسع، يتقاطع فيه الذاتي بالجماعي. يُوظّف الشاعر هذه العلامات الجغرافية لاستدعاء مشاهد من التاريخ العربي الحديث، ما يُكثّف من أبعاد التجربة الشعرية ويُضفي عليها عمقاً تأويلياً. إن هذا التناسب يساهم في بناء زمنية مركّبة تنقل بين الماضي والحاضر والمستقبل: الماضي المستدعى بوصفه فضاءً للأزمنة



الضائعة والحروب المتكررة؛ الحاضر المتخيم بالدمار والخذلان؛ والمستقبل بوصفه أفقًا غامضًا تتنازعه الرغبة في الخلاص والخوف من التكرار. وبذلك، يغدو التناص مع الزمن التاريخي آلية سيميائية يُعيد بها النص إنتاج السياقات الكبرى ضمن اللغة الشعرية، ليصبح الزمن في القصيدة مكونًا جوهريًا في بنية المعنى، وليس مجرد خلفية للأحداث.

سيميائية الفضاء في النص الشعري

يحمل الفضاء في النص دلالات رمزية واستعارية تعكس التحولات النفسية والعاطفية للذات المتكلمة. ويتجلى هذا البعد السيميائي من خلال التوتر بين الفضاء الخارجي (الواقع) والفضاء الداخلي (القبر)، حيث يتم التعبير عن انقسام الذات بين الألم والرغبة في الخلاص. يتجاوز المكان هنا وظيفته الجغرافية ليصبح مرآة للحالة الوجودية. يُصور الفضاء الخارجي كواقعٍ معادٍ، تزدهر فيه مظاهر الظلم والفساد، كما في الصورة الرمزية: "فيه تموت العصافير جوعًا وتسمن فيه الذئاب"، التي تجسد اختلالًا عميقًا في القيم، حيث ترمز الذئاب إلى القوة غير العادلة، والعصافير إلى البراءة والضعف. في المقابل، يُطرح القبر فضاءً بديلاً، يحمل دلالات الراحة والخلاص: "أرى القبر أوسع من هذه الأرض".

حيث يتحول إلى مساحة روحية تتجاوز الضيق المادي للواقع، ما يعكس رغبة الذات في الانعتاق والسكينة. ويمتد التوظيف السيميائي للفضاء إلى استعارات مكانية تعبّر عن مشاعر الخيبة والخذلان؛ ف"البلد" و"الأمة" تتحولان إلى رموز للخيانة وانعدام الانتماء، فيما تُصور "الغرفة" فضاءً داخلياً مهدداً بالخارج المظلم، حيث لا توفر العزلة الأمان الكامل، بل تغدو بدورها محاصرةً بالخوف. بهذا، يُجسد المكان الحالة النفسية للذات لا بوصفه معطًى ماديًا، بل كتجربة شعورية تستبطن التحولات العاطفية والوجودية.

يتجاوز الفضاء دوره كونه خلفية للأحداث ليصبح عنصراً فاعلاً في بناء الدلالة السيميائية للنص. يظهر هذا التفاعل من خلال: الفضاء الضيق (الواقع) كتمثيل للألم والقيد؛ يُعبر الشاعر عن ضيق الفضاء الخارجي بتحويل الأرض الواسعة إلى مساحة خانقة، تجسد انحسار الأفق النفسي والاجتماعي للذات. والفضاء الواسع (القبر) كتمثيل للتحرر والخلاص؛ يُعيد الشاعر صياغة مفهوم الموت ليُقدمه كمساحةٍ للتحرر، حيث يُصبح القبر بوابةً إلى فضاءٍ مفتوح على الأمل والراحة، متجاوزاً الدلالات التقليدية للموت إلى أفقٍ رمزيٍّ محمّلٍ بالدلالات الروحية.

يحمل الفضاء النصي في القصيدة تمفصلات سيميائية متداخلة، تُبرز ديناميكية العلاقة بين الداخل والخارج عبر عناصر العنوان والاستهلال والختام. تُبنى دلالة النص من خلال هذه البنية المركبة التي لا تنفصل عن السياق النفسي والوجودي للذات المتكلمة. يبدأ النص بعنوانٍ يُعد بمثابة العتبة الأولى للولوج إلى العالم الشعري: "بكائية لعام 2016م". هذا العنوان لا يكتفي بتأطير زمني واضح، بل يُضفي على النص بُعداً عاطفياً مرتبطاً بالحزن والرتاء، مستنداً إلى البنية الثقافية المتوارثة لمعنى "البكائية". هكذا، يُوجّه العنوان التلقي نحو



فضاءٍ يطغى عليه الأسى، ويتقاطع مع سياقات اجتماعية وسياسية قائمة، مما يُمهّد للقراءة ضمن أفق تأويلي مشحون بالانكسار.

ويؤسس الاستهلال لهذا الجو العام عبر صورة كثيفة:

"دثريني وشدي على كفي"

هذه العبارة تفتح النص على رغبة في الاحتماء داخل الفضاء الداخلي، حيث يتحول "الكفن" من علامة للموت إلى رمز للدفاء والسكينة. هنا تتقاطع دلالتا الانغلاق والخلص، في فضاءٍ داخلي يُعيد صياغة علاقة الذات بعالمها الخارجي، ويعكس الحاجة إلى عزلة روحية تُجنّب الذات صخب الواقع وضغوطه. ثم يأتي الختام ليُعيد الذات إلى نقطة الصدام مع الواقع، عبر عبارة تُفجّر خيبة أمل عميقة: "على بلدٍ كنت أحسبه بلدًا". هذا الانهيار الدلالي يكشف زيف الانتماء وتهاوي التصورات المثالية، حيث يتحول الوطن من ملاذ متخيل إلى فضاءٍ فاقد للمعنى والهوية. وبين الاستهلال والختام، تتشكل جدلية الداخل والخارج بوصفها حركة شعورية للذات، تميل تارة إلى الانسحاب والانغلاق، وتارة إلى المواجهة والانكشاف. ويُستكمل هذا التوتر عبر التوظيف الرمزي للفضاء، حيث يُصبح الداخل (الكفن، الغرفة) تعبيرًا عن حماية الذات والهروب من الخذلان، فيما يُجسد الخارج (البلد، الأمة) فضاءً للخيبة والاغتراب. لا يكتفي النص بوصف الفضاء، بل يُعيد تشكيله بوصفه امتدادًا للحالة النفسية للذات، فتتقلب الأماكن من مواقع مادية إلى صور رمزية مكثفة تنطوي على مشاعر الخوف والانكسار وفقدان الأمل. بهذا، يُقدّم الفضاء النصي باعتباره أداة تأويلية تُمكن من قراءة التحولات الشعورية والوجودية، حيث تتكشف شبكة العلاقات السيميائية بين العتبة، الداخل، والخارج، لتُكوّن فضاءً شعريًا يعبر عن صراع الذات مع العالم.

الصور الزمنية والمكانية

يُشكّل الزمن والمكان في القصيدة بُعدين أساسيين لتوليد الدلالات، حيث تُستخدم الرموز والاستعارات لتعميق التوتر بين الداخل والخارج، وبين الواقع والحلم. تحمل هذه الصور بُعدًا ميتافيزيقيًا يُجسد الصراع الوجودي للذات في مواجهة واقع مرير.

تبرز القصيدة مجموعة من الرموز والاستعارات التي تُعيد تشكيل الفضاءين الزماني والمكاني، ومنها: "القبر": يُمثل رمزًا للخلاص والملاذ الأخير، حيث يتحول من مساحة ضيقة إلى فضاء واسع ولامع يتناقض مع "بؤس الوطن"، مما يعكس رغبة الذات في الانسحاب إلى فضاء روحي بديل يتجاوز حدود المكان والزمان الماديين. "الجبل": يظهر رمزًا للحماية والاستقرار، إلا أن القصيدة تُفشل هذا الدور التقليدي للجبل، حيث لم يعد "عاصمًا"، مما يعكس انهيار الثوابت وفشل المكان في توفير الأمان للذات. "المياه التي تتحدر من أعالي الجبال": استعارة تُجسد حركة الزمن المستمرة التي لا تتوقف، حيث يمر الزمن في القصيدة كجريان المياه، في إشارة إلى الانزلاق نحو المجهول دون القدرة على التحكم بالمصير.



"الظلام الذي يتجول منفرداً": يُصبح الظلام رمزاً لليأس والضياع، حيث يتجسد ككيان حي يجوب الفضاء الخارجي، مما يعكس شعور الذات بالعزلة والاغتراب وسط عالم قاسٍ. "الكفن": يُحيل إلى الموت، لكنه يحمل دلالة الحماية والاحتواء، مما يُظهر التناقض بين رغبة الذات في الخلاص وبين شعورها بالأمان في مواجهة المجهول. "العصا": ترمز إلى القوة والاستقلال في الماضي، بينما يشير فقدانها إلى تراجع الذات وتعرضها للضعف والهشاشة أمام الحاضر. "التلفزيون": يُجسد الأداة التي تُسهّم في تضليل الجماهير وتدجين العقول، حيث يُصبح الإعلام رمزاً للهيمنة الثقافية والسياسية. "العصافير الجائعة" و"الذئاب السمينّة": استعارتان تُبرزان الظلم الاجتماعي وعدم المساواة، حيث تعكس الأولى الفئة المظلومة والمحرومة، بينما تجسد الثانية السلطة والقوة التي تستغل الواقع لصالحها.

تؤدي الرموز والاستعارات في النص دوراً محورياً في بناء الدلالة السيميائية، إذ تُعزز من شعور الذات بالاغتراب والفقد، وتعكس أبعاداً اجتماعية وفلسفية متشابكة. ف"القبر" يُمثل رغبة الذات في الهروب نحو فضاء يتجاوز الواقع المادي، حيث يتحول إلى رمز للسلام الأبدي والخلاص من أعباء الحياة اليومية. أما "الجبل" فيُجسد العجز عن العثور على ملاذ حقيقي، ما يُبرز هشاشة الذات وعجزها أمام تحديات الواقع. في حين يُحيل "الظلام" إلى التيه والضياع، ويُصور الواقع المعتم والمستقبل الغامض. و"الوطن البائس" يُشير إلى خيبة الأمل وفقدان الانتماء، حيث يفقد المكان وظيفته بوصفه حاضناً للهوية.

كما تُجسد الاستعارة المتناقضة بين "العصافير" و"الذئاب" اختلال التوازن المجتمعي، وتُعبّر عن تشوهات في البنية الاجتماعية والسياسية. وتُلمح عبارة "صحوة الأبدية" إلى بُعد روحاني يتجاوز المادي، ما يفتح النص على أفق وجودي أكثر اتساعاً. من جهة أخرى، يعكس النص خطاباً نقدياً متشعباً، يدين عبثية الحرب وآثارها المدمرة على الذات والمجتمع، ويفضح دور الإعلام في تزييف الوعي الجماعي. وتُصبح الرموز أدوات لتجسيد الانهيار المجتمعي والفرغ الوجودي، مما يمنح النص طابعاً نقدياً يمزج بين البعد الذاتي والهمم الجمعي.

لا يتوقف النص عند حدود النقد الاجتماعي، بل يفتح على تأملات فلسفية ووجودية؛ حيث يطرح تساؤلات حول معنى الحياة والموت، ويستبطن قلق الذات المعاصرة في زمن الضياع، ساعياً إلى تجاوز الظواهر نحو بعدٍ روحي أكثر عمقاً. وتتسم لغة النص بتوازن دقيق بين البساطة الحسية والعمق الفلسفي، إذ تسهّل التعبيرات الشعرية السلسلة عملية التلقي، فيما تفتح الرموز المكثفة والصور المركبة فضاءات تأويلية غنية. تُوظف اللغة الاستعارات لتشكيل بنية سيميائية تعكس التحولات الوجودية للذات، حيث يُعاد بناء الزمن والمكان كتمثيلات رمزية للألم والخلاص، وللعلاقة المتوترة بين الذات والواقع.

تُجسد قصيدة "بكائية لعام 2016م" لعبد العزيز المقالح بُعداً سيميائياً عميقاً يبرز قوة اللغة الشعرية في مقاربة تعقيدات التجربة الإنسانية، خاصة في ظل الاضطراب والمعاناة العميقة. من خلال توظيف بارع للزمن والمكان والصور الرمزية، تُقدّم القصيدة رحلة تأملية تُضيء تقاطعات الذاكرة والهوية والسعي نحو التسامي



وسط عالم ممزق. تتحوّل "بكائية عام 2016م" إلى صرخة وجودية تجسّد الواقع العربي المعاصر، حيث يُعيد المقال تشكيل القصيدة كمرآة تعكس المأساة بكل تفاصيلها.

يُظهر التحليل السيميائي التفاعل المعقد بين الزمن والفضاء والذات، إذ تعكس جدلية الزمن في القصيدة صراع الذات بين الماضي المؤلم والحاضر المرير والمستقبل الغامض. يلعب الفضاء النصي دورًا محوريًا في تعزيز هذه الجدلية، حيث يُصبح المكان الخارجي مصدرًا للألم، بينما يُجسد المكان الداخلي (القبر) الخلاص المنشود، مما يُعمّق من حالة الذات المحاصرة بين قسوة الواقع ورغبتها في الهروب إلى فضاء أكثر رحمة.

5 المسار التوليدي للمعنى: بناء المعنى في البكائية - من الرمز إلى التجربة

ديناميكية التشاكلات السيميائية:

تتناول السطور الشعرية الإشكاليات المركزية في القصيدة الرثائية عبر استعراض معاناة النفس في مواجهة محن الوطن المنهك، وتآكل القيم السامية، والحنين إلى هدوء روعي في سياق واقع مدمر. يتجلى صوت الشاعر مشبعًا بحزن عميق، مثقلًا بخيبة الأمل وقلق وجودي، مشكّلاً نسيجًا دلاليًا يعكس التفاعل بين الذات والواقع. يُصبح الجسد، الذي يُعبّر عنه عبر الطلب المتكرر دثري، رمزًا مركزيًا للهشاشة والرغبة الملحة في الحماية من قسوة واقع الحرب والانحلال المجتمعي. فالكفن لا يُمثل الموت فحسب، بل يُجسّد شوق الشاعر للهروب من المعاناة، حيث يعكس فعل التكفين انسحابًا نفسيًا نحو الداخل كآلية تكيف مع اليأس الشامل. يتحوّل الجسد إلى مساحة تتداخل فيها الصدمة الشخصية مع المعاناة الجماعية، كما في السطور:

"دثريني

فقد أصبح الموت

أمنية

بعد أن جاعت الأرض"

حيث تُربط الرغبة الجسدية في التغطية بالتوق النفسي لنهاية المعاناة، مُوجِّدًا بين الجسد الفردي والجسد الجماعي للأمة. تُظهر البنية السيميائية للنص تفاعلًا متقنًا بين الجسدي والميتافيزيقي، فتكرار موتيف لفّ جسدي في كفن يعبر عن التوق إلى الخلاص بالموت، بينما يتأمل اتساع القبر كملجأ من الكوارث التي اجتاحت الوطن. هكذا يتحوّل الجسد إلى حاجز رمزي بين الذات والعالم الخارجي، مُعبّرًا عن الرغبة في التحرر من ثقل الواقع عبر طيّ بساط الحياة. وتنشئ القصيدة شبكة من الرموز المترابطة (الظلام، الجوع، الصمت، الكفن) التي تُنتج حقلاً دلاليًا متماسكًا. فيرمز الظلام إلى الاضطراب السياسي واليأس الداخلي، بينما يُجسّد الجوع الحرمان المادي والمعنوي للشعب. أما الصمت فيُعبّر عن قمع الحقائق وعدم القدرة على البوح بالمعاناة، بينما يصبح الكفن رمزًا نهائيًا للاستسلام والرغبة في الفناء. يُعزّز تكرار دثري هذه الروابط، مُولِّدًا شعورًا تراكميًا باليأس، كما تتفاعل الرموز المائية (المياه، الطوفان) مع رموز الظلام (الليل، العتمة) لتشكيل عالمٍ من التناقضات بين الحياة والموت، الأمل واليأس.



سيمائية التناص وبناء الأثر الدلالي:

يُعدّ التناص مكوّنًا جوهريًا في الخطاب الشعري الحديث، وأداة مركزية في إنتاج الدلالة الشعرية، خاصة حين تُستَحضَر عبره رموزٌ ونصوصٌ سابقة تتشابه مع صوت الذات الحاضرة، لتعيد إنتاج التجربة ضمن سياقاتها الزمانية والمكانية والوجدانية المتجددة. وتتكشّف البكائية التي نحن بصدها بوصفها نصًا متشظّي الدلالة، يتغذى على مرجعيات متعددة، دينية وشعرية وتراثية وسياسية، تُستدعى لا من باب التزيين البلاغي، بل من موقع فاعل في تشكيل المعنى وخلق الأثر النفسي.

يتكشّف في النص حضورٌ لافت للتناص مع الخطاب الديني والتاريخي، حيث يفتتح المقالاح نصه باستدعاء شعائري مكثف يتمثل في الطلب الطقسي المتكرر: "دثري"، وهي عبارة محمّلة بإيحاءات دينية وصوفية تتقاطع مع لحظة الوحي النبوي "دثروني دثروني"، لتعميق شعور النهاية وقرب الموت لكن المقالاح يوظف هذا التناص لا بوصفه لحظة كشف إلهي، بل لحظة انكسار إنساني في زمن فقد الإيمان بمعنى النجاة، وهنا يتقاطع خطاب الذات مع لحظة وجودية قاسية، تجعل من "الدثر" رمزًا للحماية من الفقد والموت والخذلان.

إن هذا التناص لا يؤدي وظيفة إشارية فقط، بل يحدث انزياحًا في المعنى، إذ ينتقل بالمقدّس إلى دائرة اليومي المأساوي، حيث يصير "الدثار" ليس حماية من رهبة النبوة، بل من وحشة الخراب الجمعي، وهذا ما يعمّق البعد السيميائي للتناص، بوصفه علامةً مُشبعة بالدلالة العابرة للنصوص.

، إلى جانب عبارة "جبل لم يعد عاصفًا" التي تُحيل إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ سَآوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصْمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ (هود 43)، في مشهد يُبرز انهيار الملاذات واهتزاز اليقين. كما يُعاد توظيف البنية الدلالية للآية: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ (النمل 34) في عبارة "الحروب إذا دخلت قريةً أكلت أهلها الطيبين"، مما يُعبّر عن أثر الحروب في تشويه البنية الأخلاقية والاجتماعية. غير أن المقالاح يوظف هذا التناص ليس للتعقيب أو الاتعاض، بل لبناء أثر شعري يتم من خلاله شحن الكلمة القرآنية بطاقة احتجاجية معاصرة. إذ تتحول الآية إلى مرآة للواقع المدمر، وتُسقط على مشاهد الحروب الأهلية العربية، فتضاعف من فداحة الخسارة. ما يعني أن المقالاح لا ينقل النصوص بل يعيد إنتاجها عبر تشاكل دلالي جديد، يخدم موقفه السياسي والوجداني من الخراب العربي.

الفتحة في الكفن "ودعي فتحة في كفني..." (تناص صوفي رمزي) يُذكرنا بصوفية الحلاج وابن عربي، حيث يُراد للموت ألا يكون "قبرًا نهائيًا" بل "نافذة وجودية" نحو الحقيقة ومقاومة الانغلاق والعدم، والتوق إلى بصيرة خارج حدود المادة.

ويتردد في النص ويتقاطع مع الحضور الطللي، وتسجيل الفقد، والتعلق بالموت كخلاص: "فإني أرى القبر أوسع من هذه الأرض، وأحنّ من هذه الشمس...، حيث تتماهى الذات مع الفقد، لكن دون حنين ماضٍ قبلي، بل بحسّ وجودي أكثر سوداوية.



إن هذه الاستدعاءات والتقاطعات لا تُستدعى بوصفها نمطاً بلاغياً فحسب، بل يُعاد إنتاجها ضمن سياق الهزيمة الجمعية، مما يحول النص إلى بكائية حدائية تشظت فيها الأصوات، واختلط فيها الموروث بالحاضر، في إطار ما يمكن تسميته "المحكي البكائي المضاد"، أي ذلك الذي يعارض الفخر ويؤسس لهوية مأزومة. ويتكشف في النص – أيضا – التناس الثقافي في قوله:

"أغلقني شاشة التلفزيون

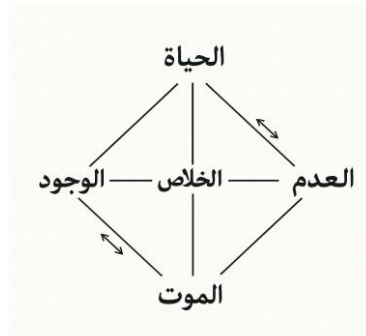
هذا الإناء الوخيم..."

يستحضر المقال تناصاً مع الخطاب الإعلامي العربي، لكنه يُعيد تأويله سيميائياً بوصفه جهازاً ملوّثاً، يبصق في صحن الذهن، ويُميت الشعور. وهذا التناص لا يتم فقط بالإشارة للوسيلة، بل بوصفها علامة على الخواء الجماعي، والمشاركة في تصنيع اللامعنى.

ولا يقتصر التناص على الوظيفة المرجعية، بل يؤدي دوراً جمالياً يُضفي على النص بُعداً تراجيدياً، عبر ربط التجربة الذاتية بحكايات كونية تتجاوز الزمن، مثل استدعاء قصة نوح وملكة سبأ، فتنحول المعاناة الفردية إلى انعكاس لمأساة جماعية تُفكك التماسك بين المثل والواقع. من جهة أخرى، يتجلى التناص الثقافي من خلال استدعاء مراثي المتنبي وأبي تمام، مما يُضفي على النص طابعاً حدائياً يُعيد إنتاج موضوعات الموت بوصفها أفعالا مقاومة للظلم، ويُكرّس الاغتراب الذاتي في عالم فقدت فيه المعايير الأخلاقية ثباتها.

المربع السيميائي وبناء الديناميكيات الدلالية

يتجلى المحور السيميائي المركزي للنص في جدلية الحياة والموت، حيث تتقابل الحياة بوصفها الوجود الفعلي للذات مع الموت الذي يمثل الرغبة في الفناء والتحرر من واقع مؤلم، بينما تعكس نفياتها واقعا بلا معنى. على المستوى الثانوي، يبرز تقابل الوجود والعدم، إذ يرمز الوجود إلى الحياة الكريمة المنشودة، بينما يجسد العدم الاندثار والمحو، مما يضيف بُعداً جديداً للصراع الدلالي. أما على المستوى الأعلى، فتتخذ الثنائية طابعاً ميتافيزيقياً ودينياً من خلال مفهومي الخلاص والهلاك، حيث يشير الخلاص إلى النجاة الروحية والحياة الأبدية، بينما يعبر الهلاك عن الفناء المطلق، ما يعزز الطابع الفلسفي للنص. يوضح المربع السيميائي التالي هذه التفاعلات والتفاعلات الجدلية، كاشفاً عن عمق البنية الدلالية في النص.



شكل 1: المربع السيميائي للحياة والموت والوجود والعدم والخلاص والهلاك.



يُبرز المربع السيميائي التعارضات الدلالية التي تشكّل بنية النص، حيث تتداخل مفاهيم الحياة والموت مع الوجود والعدم، وصولاً إلى البُعد الميتافيزيقي للخلاص والهلاك. يكشف هذا التحليل عن التوتر الدلالي الذي يحكم تجربة الذات في علاقتها بالعالم، حيث تُطرح معادلة الفناء كوسيلة للخلاص من القهر. يتحوّل القبر إلى فضاء أكثر رحابةً من الحياة، مما يُشير إلى احتدام الصراع بين القيم الروحية والوجود المحسوس.

الرؤية السردية وتشكيلات الذات

تُروى القصيدة بضمير المتكلم، ما يُعمّق الإحساس بذاتٍ منهكة تواجه واقعاً مأزوماً، وتلجأ إلى خطاب موجّه نحو أنثى (ملاك)، يعكس حالة انقسام داخلي بين الرغبة في البوح والانكفاء نحو الصمت. يتخذ هذا الصوت السردى موقعاً يُوازن بين التوثيق الشعوري والرؤية الرمزية، فتبدو الذات كأنها تُعيد تشكيل تجربتها عبر اللغة. في هذا السياق، لا يظهر الموت كفناء بل كفعل تحرري، حيث تختار الذات القبر بديلاً عن عالمٍ لم يعد يحتمل، عالمٍ يتسع له الفضاء الآخر الذي يُطهره الملائكة. هكذا تنسحب الذات إلى موقع رمزي يتأرجح بين اليأس والأمل، وتُجسّد القصيدة خطاباً شعرياً مكثفاً تنشط فيه الثنائيات الضدية (الجسد/الذات، الحياة/الموت)، ويشتبك فيه الواقعي بالمتخيل ضمن نسيج تناصيّ يستدعي المرجعيات الدينية والنقد الحداثي في آن. لا تكتفي القصيدة بتمثيل الحداد، بل تُعيد تشكيله عبر لغةٍ تتحوّل إلى أداة مقاومة. الكلمات هنا لا تنعى، بل تبني، تُواجه الفقد وتُعيد الوطن على نحو رمزي، حيث يصبح النصّ فضاءً تعبيرياً يحتفي بسلطة اللغة وقدرتها على تأبيد الأثر الشعري في وجه زمنٍ أخذ في التهالك.

6 عوالم الانفعال: تأويل مشاعر الشاعر وتجربته

الجسد بوصفه نصّاً منفعلاً (الخطاب الجسدي)

يتموضع الجسد في النص كفاعل دلالي مركزي يحمل أثر الانفعالات الوجودية وتقلّبات الوعي الفردي. تتوزع تمظهراته بين الانكسار والمقاومة، حيث يُستدعى في لحظات التأزم بوصفه وسيلة تعبير عن هشاشة الذات وتوقها للخلاص. تظهر عبارات مثل "نثريني" و"سدي على كفي" كاستجابات جسدية تنطوي على سيميائية استسلامية، لكنها تُقاوم بتشكيلات دلالية مضادة، مثل "الفتحة" في الكفن، التي تُحيل إلى أفق رمزي يتصل بإمكانية البعث والحياة، متجسّدة في "رفيف الفراشات" و"صوت المياه". تتنامى هذه العلامات إلى خطاب مزدوج يتقاطع فيه الألم الجسدي مع أمل يتجاوز الفناء، حيث تبرز "العصا" لا بوصفها أداة مادية فحسب، بل كرمز للتماسك والمجابهة. ويتحوّل الجسد من كيان فردي إلى ساحة تفاعلية تتشابك فيها الذات بالآخر، من خلال نداءات الاستنجد بـ"الملاك" وظهور "الأصدقاء" و"الأعداء" كمكوّنات تُعيد تشكيل هوية الجسد بين الاحتواء والخذلان. هذا التعدد في تمثيلات الجسد لا ينفصل عن بعده الأنطولوجي، إذ يتحوّل الكفن إلى استعارة للموت الرمزي، فيما تصبح الفتحة في الكفن شرنقةً للأمل والتحوّل. وتتجلّى في "بكاء الكلمات" لحظة ذوبان الحدود بين الجسد واللغة، حيث تُصبح الجملة الشعرية ذاتها تجسّيداً لانفعال جسدي، يُعيد ترجمة الصراع الداخلي بين رغبة الفناء وإرادة الحياة. هكذا يُنتج النص خطاباً جسدياً متعدد الطبقات، يجعل من كل حركة أو سكون



للجسد مرآةً للتحوّلات الداخلية، ويُؤسّس لتجربة شعريّة تُحاكي بالانفعال والتمثيل الجسدي أعمق حالات الإنسان في زمن الانهيار.

آليات التلقّظ العاطفي: تشريح الخطاب الانفعالي

يُبنى الخطاب العاطفي على تراكيب لغوية متوترة تُحاكي الانزياح عن المألوف، كتكرار فعل الأمر "دثّرني"، الذي يَضخّم إحساس الاستعجال الوجودي، مُشيرًا إلى عجز الذات عن مواجهة الواقع بآلياتها الاعتيادية. وتعمل الاستعارات المُكثّفة ("كفن"، "عصا") على خلق فجوة دلالية بين الدالّ الظاهري (أدوات الموت) والمدلول الخفي (إرادة الحياة)، بينما يُعيد النداء "يا ملاكي" تشكيل علاقة الذات بالغيبي بوصفه ملاذًا أخيرًا من انهيار المنظومة الواقعية.

تعتمد سيميائية الخطاب على ثنائيات تضادّية تُنتج دينامية الصراع: الموت/الحياة (الكفن مقابل الفراشات)، القوة/الضعف (العصا مقابل التكفين)، والأمان/الخطر (الملاك مقابل الأعداء). ويُعزّز التكرار بوصفه آلية نصية - حمل العبارات بدلالات تراكمية، حيث تتحوّل "دثّرني" من طلبٍ عادي إلى صرخة وجودية تُجسّد تأكل الذات. كما تُوطّر علامات الترقيم (كالنقطتين الرأسيتين في "وشدّي على كفني واكتبي فوق قبوري" علاقة السببية بين الرمز ودلالته الفلسفية. ولا تنفصل انفعالات الذات المتلقّظة عن شبكة العلاقات مع الذات الأخرى، حيث يُمثّل "الملاك" النقيض السيميائي لـ "الأعداء"، بينما يُعيد "الأحباب الغائبون" تشكيل الذات ككيانٍ مُتشرّد بين ذاكرة الانتماء وواقع القطيعة. هذا التداخل يُنتج "انزياحًا تلقّظيًا"، حيث تتبادل الذات الأدوار بين المُرسَل والمُرسل إليه، مما يُعقّد عملية تأويل الانفعالات ويجعلها خاضعة لإعادة التشكيل المستمر وفق السياقات الدلالية المتغيرة.

تشكّل الذات السيميائية: من التمزّق إلى إعادة البناء

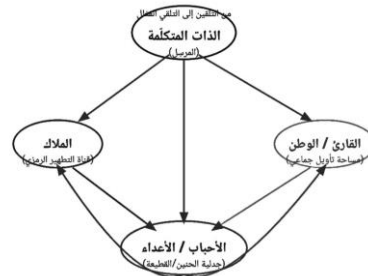
تُبنى الذات في النص بوصفها كيانًا سيميائيًا هشًا، يُعاد تشكيله ضمن شبكة دلالية قائمة على التوتر بين الألم والأمل. تتجلى هذه الذات من خلال ثنائيات رمزية متضادة، كـ "الكفن" الذي يُحيل إلى الموت والانكفاء، في مقابل "رفيف الفراشات" و"صوت المياه" بوصفهما علامات استمرارية وتجدد. هذه الانزياحات تولّد تفكّكًا على مستوى الهوية، لكنها، في الوقت ذاته، تفتح أفقًا لإعادة البناء الرمزي، حيث يتحوّل التفكك إلى نقطة انطلاق نحو تشكيل ذاتٍ هجينة تتجاوز محنتها الوجودية عبر اللغة. ينعكس هذا التشكل في بنية تفاعلية تتوزّع أدوارها ضمن شبكة من الفواعل السيميائية، تبدأ من الذات المتكلمة بوصفها مركز الإشعاع الدلالي، مرورًا بالملاك كرمز للحماية الافتراضية، وانتهاءً بالأصدقاء والأعداء الذين يُجسّدون الصراع بين الخذلان والانتماء. ولا يغيب عن هذه البنية القارئ أو الوطن، باعتباره مُرسَلًا إليه غائبًا يُكمّل فعل التأويل ويمنح النص بعده الجمعي. يوضّح الجدول الآتي توزيع الأدوار والآليات التي تحكم هذه التفاعلات:



جدول 1: التفاعلات السيميائية بين الفواعل الدلالية في النص

الفاعل السيميائي	الدور الوظيفي	آلية التفاعل
الذات المتكلمة (المُرسل)	مركز الإشعاع الدلالي للأزمة	إنتاج الخطاب عبر الانزياحات الرمزية
الملاك (المُرسل إليه المباشر)	رمز الحماية الافتراضية	استقبال النداءات العاجلة للخلاص
الأعداء/الأحباب (المُرسل إليه غير المباشر)	تجسيد الصراع الاجتماعي/العاطفي	تفعيل ثنائية الخيانة/الانتماء
القارئ/الوطن (المُرسل إليه الغائب)	حقل التأويل الجمعي	إعادة إنتاج الدلالات سياقيًا

إن تموضع الذات ضمن هذا النموذج التفاعلي يُظهر كيف يتحوّل الألم إلى خطاب رمزيّ مشحون، تتداخل فيه الأبعاد الوجدانية بالسياقات الاجتماعية والثقافية. وعبر هذه السيرة، لا تظل الذات رهينة الانهيار، بل تُعيد إنتاج معناها داخل بنية توازن بين التمرّق والاحتمال، بين فقد الانتماء واستعادته عبر سيميائية النص. تُبين ديناميكيات التواصل السيميائي انتقالاً من التلقي السلبي إلى الانخراط الفعّال. توضح الشبكة التفاعلية تحوّل الذات من متلقٍ سلبي للأزمة إلى فاعلٍ سيميائي يُعيد تشكيل علاقته بالعالم من خلال الخطاب الشعري. يوضح المخطط التالي تدفّق الدلالات بين الفواعل المختلفة: المرسل (الذات المتكلمة) ينقل رسالته عبر المرسل إليه المباشر (الملاك) كقناةٍ للتطهير الرمزي، والمرسل إليه غير المباشر (الأحباب/الأعداء) كمساحةٍ للصراع بين الحنين والقطيعة، والمرسل إليه الغائب (القارئ/الوطن) كمساحةٍ لإعادة تدوير المعاني على المستوى الجماعي.



شكل 2: مخطط ديناميات التواصل السيميائي وتحولات الفواعل

ضمن هذا النموذج، تتجاوز وظيفة الذات حدود الإرسال لتصبح متلقياً فاعلاً يُعيد تأويل الدلالات ضمن دائرة الخطاب. يتحوّل "الملاك" من كيانٍ ميتافيزيقي إلى شريكٍ حوارِيٍّ في عملية الترميز، بينما يُجسّد "الأحباب/الأعداء" جدلية الاحتضان/النبد التي تُعقّد مسار التفاعل. أمّا القارئ والوطن، فيُمثّلان مساحةً تأويليةً مفتوحةً تحوّل الألم الفردي إلى سرديةٍ جماعية، مبرزين الانتقال من المأساة الشخصية إلى تفسير الأزمات المشتركة.



7 الجماليات الرمزية: لغة الصورة والإيحاء

البنية الإيقاعية وأبعادها السيميائية في النص الشعري

يمتاز النص الشعري ببنية إيقاعية غنية تتجلى في التكرار الملحوظ لخطاب "دثريني"، الذي يشكل نقطة اتصالية تربط بين مختلف أجزاء القصيدة. يُنتج هذا التكرار إيقاعاً دائرياً يُعزز الشعور بالتوتر الداخلي، حيث يتلازم مع تنويعات صوتية تُضفي على الخطاب طابعاً تأملياً مأساوياً. يُعيد النص تشكيل النداء إلى تكفين، مع تنويعات تُعزز من بنيته الموسيقية، إذ تتداخل الجمل القصيرة ("دثريني") مع جمل أطول تعكس تدفق الذاكرة ("أسمع صوت المياه التي تتحدر / في ضحوة من أعالي الجبال"). يؤدي هذا التناغم بين التكرار والاختلاف إلى خلق تموجات إيقاعية تُحاكي الصراع بين السكون والانفجار، مُجسدةً عجز الذات عن تجاوز دوائر الألم. يرمز هذا التكرار إلى حتمية الفقد ورغبة الذات في الانزواء، حيث تتباين الإيقاعات بين السرعة ("أغلقي شاشة التلفزيون") والبطء ("وأشهد فيه نجومًا ملونة") لتعكس صراعاً داخلياً بين الانعتاق والاستسلام للفناء. يبرز هذا الانزياح الإيقاعي تناقض الذات بين القبول بالموت كخلاص، والتشبث بشراة الأمل عبر الصور الشعرية المرتبطة بالنور والدفء. وتتجلى أبرز السمات الإيقاعية في اعتماد القصيدة على بنية تكرارية تُعزز الإيقاع الداخلي، ويُبرز تكرار عبارة "دثريني" الطابع التأملي والروائي للنص، فيما يضيف السجع والموازنة الصوتية بعداً موسيقياً يُعمّق الدلالة الشعورية. كما يُجسد التكرار حالة الاستسلام للقدر ورغبة الذات في السكينة، ويشير التباين الإيقاعي إلى الصراع بين الأمل واليأس، مُعززاً الطابع الروحاني للنص ومنحه بُعداً رمزياً أوسع.

بنية التوتر والتصاعد الدرامي في النص

يتميز النص الشعري ببنية سيميائية متوترة ومتصاعدة بشكل ملحوظ. تتجلى هذه الحركة الإيقاعية والانفعالية في تموجات من الارتفاع والانخفاض، عاكسة الصراع الداخلي للذات الشاعرة. فعبّر تتبع منحى هذا التوتر، نلاحظ نقاط التحول الدرامية الحاسمة - كذروة التوتر عند تصوير الجسد المنكسر، تلمها لحظات هدوء نسبي، ثم عودة التصاعد في سياق البحث عن الهوية والعلاقة مع الآخر. هذه التموجات الإيقاعية والانفعالية تؤدي دوراً محورياً في البناء السيميائي للنص، مجسدةً شبكة من التوترات المتراكمة التي تعكس تعقيد التجربة الشعورية للشاعر. إن هذه البنية المتوترة والمتصاعدة تحمل دلالات سيميائية عميقة، إذ تجسّد الصراع بين التمزق والبحث عن الهوية، وجدلية العلاقة بين الذات والآخر، والواقع والذاكرة. بذلك، تشكل هذه التموجات محورياً أساسياً في التجربة الشعورية، مؤدية دوراً بنائياً وسيميائياً حاسماً في إنتاج المعنى.

اللغة البلاغية كنظام سيميائي وتأويل دلالاتها في النص

يُوظف النص بلاغة مكثفة تُثري بنيته السيميائية، من خلال استخدام الاستعارة، والتشبيه، والتجسيد، والمفارقة، مما يمنحه أبعاداً رمزية غنية. ففي عبارة "دثريني" و"شدي على كفي"، تتجلى استعارات مكنية تُعبّر عن الحاجة إلى الاحتواء في مواجهة الفقد. أما في "أرى القبر أوسع من هذه الأرض"، فيظهر التشبيه كمفارقة دالة، حيث يُعاد تمثيل الموت كفضاء أرحب من الحياة، مما يُجسد أزمة وجودية عميقة. كما يمنح التجسيد في



"الظلام الذي يتجول" بُعدًا ديناميكيًا للظلام، مُعبرًا عن اضطراب الذات، بينما تُبرز المفارقة في "الموت أمنية" جدلية الخلاص والعدم، مانحة النص بُعدًا فلسفيًا.

تتفاعل هذه التشكيلات البلاغية في بناء دلالي مركّب؛ فالاستعارة والمفارقة تُعيدان صياغة مفهومي الاحتواء والافتقار، ليغدو الموت أكثر رحابة من الحياة. أما التجسيد فيُضفي على العناصر الطبيعية أبعادًا نفسية، تعمّق من الإحساس بالاغتراب. وتظهر الصورة السورالية في "كلام مريض يُميت الشعور"، حيث تتحول اللغة ذاتها إلى كيان قاتل، دالّ على سلطة خطابية قمعية. وتتداخل العلامات الطبيعية والمجازية في النص، فصور مثل "رفيف الفراشات" و"صوت المياه" تُجاور رموزًا مثل "ملاكي" و"شمس أحن وأرأف"، منتجة فضاءً تأويليًا متعدد الطبقات. إذ ترمز الفراشات إلى الهشاشة والجمال العابر، بينما تمثل الذئب التهديد الخارجي، ويظهر الكفن كعلامة انتقالية قد تحمل دلالات احتجاجية على واقع مأزوم.

كما تتبدى علاقات سيميائية دقيقة في بنية الصور الشعرية، تتجلى في ثنائيات ضدية تعبر عن التوترات الداخلية للذات، منها: الفراشات / الذئب التي تمثل الصراع بين البراءة والخطر، والماء / الصحراء وهو ترميزٌ للتناقض بين الحياة والجفاف العاطفي، والنور / الظلام حيث تتكرّر هذه الجدلية الرمزية، ويتخذ الظلام دورًا فاعلاً يراقب الذات، بينما تصبح الشمس رمزًا للخلاص المفقود. ويُسهّم هذا التشابك السيميائي في إعادة تأويل العلاقة بين مفهومي الحياة والموت، كما في اقتران "القبر" بصورة "الشمس الأكثر حنانًا"، بما يضيف بُعدًا تعويضيًا للموت، وتقاطع صورة "الظلام المتجول" مع "الظلمة داخل الروح"، مما يعمق الشعور بالاغتراب النفسي ويجسّد التمزق الداخلي للذات.

الأسلوب الشعري والتشكيلات السيميائية

يتسم النص الشعري بخصائص أسلوبية مميزة تتداخل فيها البنية الإيقاعية مع البعد الرمزي والدلالي، مما يُنتج خطابًا متوترًا تتناغم فيه الأساليب البلاغية والانزياحات الزمنية والصور الشعرية الكثيفة. يتجلى التكرار بوصفه فعلاً شعائريًا يُجسد معاني الخلاص والاحتواء، في حين يُعبر الانزياح الزمني عن تشرذم الهوية والقلق الوجودي. وتُنتج الكثافة التصويرية دلالات متعددة تتجاوز ظاهر الصورة إلى عمقها الفلسفي. ويكشف تحليل التشكيلات الأسلوبية عن عمليات تفكيك للغة وإعادة بنائها دلاليًا، كما يتضح في عبارات من قبيل: "بكاء من الكلمات"، حيث تتحول اللغة إلى كيان ناطق بألم الذات. تُختزل الجمل وتنفك بنيتها السردية في مقاطع مثل: "دثريني / ولا تفتحي الشبابيك"، ما يُحاكي انهيار المعنى ضمن بنية خطابية مأزومة. أما الإيقاع، فيتنامى عبر التكرار والتنغيم، ليُعبّر عن التوتر النفسي ويُجسد البنية الشعورية للخطاب. إن الجماليات الرمزية في هذه البكائية، المكتوبة عام 2016م، تشكّل نظامًا دلاليًا يتجاوز البعد التعبيري، إذ تُصبح الصور الرمزية، والإيقاع الحزين، والانزياحات اللغوية، عناصر فاعلة في بناء فضاء تأويلي يعكس معاناة الذات وتشظيها بين قسوة الواقع وإمكانات الخلاص. بهذا المعنى، لا تظل البكائية مجرد رثاء شخصي، بل تتحول إلى صرخة رمزية تحاور جدلية الموت بوصفه نهاية حتمية، وفي الآن ذاته بوابة نحو خلاصٍ متخيّل.



8 شروط الإدراك في النص الأدبي: الاستجابة النصية وآليات فهم البكائية

تمثل بكائية لعام 2016م للشاعر عبد العزيز المقالح نموذجًا متفردًا لاستكشاف العلاقة بين الجسد والذات في سياق شعري يعكس الصراع الداخلي والتفاعل مع المحيط. يُظهر النص، من خلال استخدامه للغة الشعرية الغنية بالبلاغة، طبيعة المكاشفات الداخلية للذات، حيث تتجلى النداءات المتكررة مثل "دثريني" و"شدي على كفي" كمحفزات تعزز من حضور الجسد الفردي للمتكلم، بينما تدفع الصور الحسية، مثل "رفيف الفراشات" و"صوت المياه المتدفقة"، القارئ إلى تجربة فينومينولوجية تُبرز تموضع الذات في العالم الطبيعي. في هذا السياق، تتأسس آليات اللغة والخطاب كشرط أساسي للإدراك، حيث تسهم النداءات المباشرة إلى المتلقي في خلق تواصل وجداني يدفع القارئ إلى الانغماس في عملية التلقي بشغف، بينما تعزز الصور الحسية والفينومينولوجية الروابط الحسية بالنص، مما يمكن القارئ من استشعار تجربة المتكلم بعمق.

الجسد والذات في فضاء التواصل والأثر

يتجلى الصراع بين الجسد والذات في تكرار فعل الأمر "دثريني"، الذي يحمل دلالات الحماية والاحتواء، لكنه يتخذ في الآن نفسه طابعًا جنائزيًا يعكس رغبة الذات في الانسحاب من واقعها المادي. يُصور الجسد كفضاء للصراع بين الحياة والموت، إذ تعكس عبارات مثل "أرقب منها رفيف الفراشات" نزوعًا نحو الاستمرارية، في حين يُجسد طلب "شدي على كفي" نوعًا من الاستسلام للعدم. يرتبط التواصل الجسدي بالحواس، حيث تتجلى حاسة السمع في عبارة "أسمع صوت المياه التي تتدفق"، والبصر في "أشهد فيه نجومًا ملونة"، غير أن هذه الحواس لا تمارس دورًا حياديًا، بل تنقلب إلى أدوات لرصد الفقد، كما في قوله: "شيئًا جميلًا سَأفقدُه حين أطوي بساط الحياة". وفي بعدٍ أعمق، تتحول الذات إلى ذات متلفظة تُعبّر عن علاقتها بالزمن من خلال الانزياحات، يتجلى أبرزها في عبارة "الصعود إلى جبلٍ لم يعد عاصمًا"، والتي تجسد فشل المشاريع الوجودية في تقديم النجاة. كما تمثل "عصاي التي كنت أحملها مثل تعويذة" محاولة من الذات لبناء حاجز رمزي ضد العتمة الوجودية، ليغدو الأثر وسيلة مقاومة، كما يتضح في قول الشاعر: "روحي مخربةٌ بعد أن حاولت أه وأأسفي تقهر المستحيل". ويمكن اعتبار هذه البكائية، المكتوبة عام 2016م، تعبيرًا عن أثر الحرب والدمار في الذات الشاعرة، إذ يتجاوز الأثر حدود الذكرى ليصبح تجربة حياة تتداخل فيها الأزمنة، ويؤثر في الحاضر كما في استشراق المصير. يتكرر "دثريني" كفعل تلفظي يستدعي الألم والرغبة في التخفيف من حدته، حيث تمارس الذات طقوس الوداع من خلال استحضار المعاني الروحية والوجودية، متأرجحة بين الإرادة الإنسانية والواقع القاسي.

الموضوعات الضمنية والدلالات المتوارية

يتسم النص بكثافة دلالاته الضمنية التي تتداخل مع المفردات المستخدمة، حيث يشير المتكلم، في تعبيره عن "الوقوف عند منعطف لم يعد آمنًا" و"الجبل الذي لم يعد عاصمًا"، بشكل ضمني إلى تآكل الاستقرار والأمن في ظل الاضطرابات الاجتماعية والسياسية المتزايدة. كما تعكس خيانة "الرفاق الذين باعوا خطاب المودة للريح" شعورًا عميقًا بالإحباط والعزلة الوجودية التي يعاني منها الفرد في زمن الأزمات. يحمل النص أيضًا خطابًا نقديًا



حادًا تجاه السلطة، سواء كانت سياسية، كما يتجلى في العبارة: "الحروبُ إذا/ دخلت قريةً أكلت أهلها الطيبين"، أو إعلامية، حيث يهاجم "شاشة التلفزيون... بكلامٍ مريضٍ يُميت الشعور". غير أن هذا النقد يختبئ خلف استعارة الجنازة، فيما يكمن المسكوت عنه في اتهام النخب الفاسدة، كما في قوله: "الرفاق الذين بأوهامهم خذلوني وباعوا خطابَ المودة للريح". وتأتي الرموز لتعزز البعد التأويلي للنص، إذ يرمز الكفن إلى الموت، لكنه يتجاوز دلالاته المباشرة ليحمل بُعدًا وطنيًا، كما في: "وطنٍ بئس الأمس واليوم... فيه تموت العصفير جوعًا وتسمن فيه الذئب". تتحول الذات إلى استعارة للأمة، كما يفهم من قوله: "على بلدٍ كنت أحسبه بلدًا... وعلى أمةٍ كنت أحسبها أمةً".

استراتيجيات الخطاب الموضوعاتي

يمتاز النص بجودة توظيف استراتيجيات خطابية موضوعاتية تعمل على توجيه عمليات القراءة والتأويل. يتجسد ذلك في تكرار موتيف "ذثري"، الذي يربط بين ضعف المتكلم الجسدي ورغبته الملحة في الحماية والعزلة. كما يبرز النص التناقض المأساوي بين حب المتكلم للجمال، المتمثل في "صوت الشبابة" و"أغاني الرعاة"، والعنف والخراب المستشري في محيطه. ويعتمد النص على تقنيات تواصل درامي بين الذات المتكلمة و"الملاك" المخاطب، مما يولد تفاعلًا ضمنيًا مع الموتى أو العالم الماورائي. تتراوح الذات بين الأنا والآخر، بل وتخاطب نفسها من خلال مرآة الفقد، كما في التحذير: "إياك أن تغفلي... ما بروحي من ظلمةٍ ليس يقوى عليها الظلام". ويبنى الخطاب على ثنائيات تضادية تُعقد من فهم الخلاص وتجعله أكثر تعقيدًا وتأويليًا، ومنها: "الظلام الذي يتجول منفرّدًا" يقابله وأرى فيه شمسًا أَحَنّ وأرأف من هذه الشمس". "الصمتُ بؤس الكلام" يواجه "أغاني الرعاة". تبرز هذه التناقضات الفجوة بين الواقع المأساوي والتطلعات الوجودية، مما يعكس عمق التجربة الإنسانية التي يسعى النص إلى استبطانها عبر استعاراته المتراكبة وبنياته الخطابية المشحونة بالدلالات.

العناوين الموضوعاتية والدلالية

يحمل عنوان بكائية لعام 2016م بعدًا دلاليًا يستدعي التأمل، حيث يعكس مفهوم البكائية حالة من الحزن والمأساة، بينما تشير السنة إلى إطار زمني مميز يرتبط بسياقات اجتماعية وسياسية معقدة. يتداخل في النص البعد الشخصي والوطني، حيث يستخدم الشاعر صورًا شعرية تعبر عن فقدان الأمن والهوية، مشيرًا إلى أثر الحروب على الذات والمجتمع. كما يستند النص إلى تلميحات دلالية قرآنية، مثل {فإذا دخلت قريةً أفسدتها}، في إشارة إلى الدمار الذي تخلفه الصراعات. من خلال هذا التحليل، يتبدى نص "بكائية المقالح" كمحاورة للزمن عبر تشريح ذات مُهتكة، حيث يغدو الجسد سجلًا للتاريخ المُعذّب. يكشف التحليل السيميائي عن طبقات دلالية متداخلة، تتصارع فيها الذات مع الموت، ويكافح فيها الوطن النسيان، مما يُجسّد أزمة الوجود الفردي والجماعي في عالمٍ ينهار. يبرز النص كمرثية وجودية تُعبر عن جدلية الذات في مواجهة الواقع المأساوي، محوّلًا اللغة الشعرية إلى فضاءٍ للمقاومة والتأمل. وتُقدّم هذه القراءة السيميائية فهمًا عميقًا لشروط الإدراك وآليات استجابة المتلقي في هذا الإبداع الأدبي.



الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة السيميائية التي تناولت قصيدة "بكائية لعام 2016" لعبد العزيز المقالح، يتضح أن النص يمثل تمثيلاً مركباً لتجربة ذات مأزومة تُعبّر عن هشاشة الكينونة الإنسانية في سياق واقع مأساوي معقد. وقد تم تحليل النص وفق عدد من المسارات السيميائية التي عكست أبعاداً وجودية ودلالية متنوعة، تكشف عن توتر الذات الشاعرة بين الداخل والخارج، والذاكرة والواقع، والرمز والتجربة. ويجدر هنا عرض نتائج التحليل ومناقشتها وفق ترتيب الأسئلة والفرضيات المطروحة في هذه الدراسة.

كشفت القراءة في المسار السيميائي للنص عن مركزية اللازمة "دثريني" التي تحولت من معنى التغطية الحرفي إلى رمز للبحث عن احتواء روحي في وجه الوجع والخذلان. الجسد في النص ليس حضوراً فيزيائياً وحسب، بل يحمل دلالة وجودية تعبّر عن التصدع النفسي والروحي، مما يدل على أن العلاقة بين الذات والعالم الخارجي موسومة بالانكسار والتعب. أما الزمن في القصيدة، فقد تموضع كفضاء سيميائي تتقاطع فيه لحظات الماضي والحاضر والمستقبل، بما يشكل متاهة زمنية تعيد إنتاج تجربة الذات داخل دورة من التكرار والانقطاع. ويتكامل هذا مع الفضاء الذي تحول من مجرد موضع مكاني إلى عنصر دلالي يُجسد مفاهيم مثل الخلاص، القبر، والاغتراب، ضمن بنية تأويلية تحيل إلى أزمة الذات في محيطها المتصدع.

وقد بين التحليل أن إنتاج المعنى في النص لا يتم بصورة تلقائية أو مباشرة، بل من خلال شبكة من الرموز والتشاكلات الدلالية التي تستمد عمقها من تناصّات ثقافية وتاريخية ودينية، ما أسهم في تكثيف الأبعاد الفلسفية للقصيدة. وقد وفرّ المربع السيميائي إطاراً نظرياً لكشف جدلية الحياة والموت، والوجود والعدم، والخلاص والهلاك، التي تشكل البنية العميقة للصراع الدرامي داخل النص. أما على مستوى الانفعال، فقد أظهرت القصيدة حضوراً جسدياً حاداً يتداخل مع حالات من القلق والارتباك والتوق، الأمر الذي يعكس بناء ذات مأزومة لا تستقر على هوية ثابتة، بل تتشكل من خلال علاقاتها المتوترة مع الآخر (الملاك، الأحبة، الأعداء). وهذا التوتر الانفعالي يُنتج طبقة تأويلية مركبة تفضي إلى إعادة التفكير في مفهوم الذات الشعرية. من الناحية الجمالية، تبرز القصيدة براعة المقالح في بناء خطاب شعري متماسك من حيث الإيقاع، والصور البلاغية، والتكثيف الرمزي. فالاستعارات، والمفارقات، والتجسيدات الحسية لا تؤدي فقط وظيفة تزيينية، بل تشكل أدوات بنائية تسهم في توليد المعنى وتكثيفه ضمن شبكة سيميائية مغلقة ومنفتحة في آن.

قائمة المصادر والمراجع

1. المقالح، عبد العزيز. "بكائية لعام 2016م". مجلة الديوان، 2016. <https://www.html.net/poem101426.aldiwan>
2. كورتيس، جوزيف. التحليل السيميائي للخطاب: من الملفوظ إلى التلفظ. باريس: دار هاشيت، 1991.
3. غريماس، ألغيرداس جوليان. البنية الدلالية: محاولة منهجية. لنكولن: جامعة نبراسكا برس، 1983.
4. غريماس، ألغيرداس جوليان، وجوزيف كورتيس. السيميائية: معجم نظري مفسر للغة. باريس: دار هاشيت، 1979.